

نظرية المجال الحيوي كمحدد لسياسة روسيا الخارجية تجاه أوكرانيا (فترة حكم الرئيس بوتين)

Lebensraum Theory as a Determinant of Russia's Foreign Policy Toward Ukraine (President Putin's Rule Period)

حفيظة طالب، جامعة بومرداس (الجزائر)، hafidateleb12@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/17

تاريخ القبول: 2023/04/18

تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

هدف الدراسة: تروم هذه الورقة البحثية إلى معالجة السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا انطلاقاً من نظرية المجال الحيوي التي تُعَتَبَر الدولة كائناً حياً ينمو ويتوسع باتساع المصالح والأهداف، فبعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكك دوله غابت روسيا الاتحادية عن الساحة الدولية لعقد كامل نتيجة انكفائها على ذاتها وترتيبها لشؤونها الداخلية، وهو ما سمح للولايات المتحدة الأمريكية بتعزيز نفوذها واستمالة عديد الجمهوريات السوفييتية السابقة للانضمام إلى حلف الشمال الأطلسي. **المنهجية:** تم الاعتماد على فرضية مفادها "تقوم سياسة روسيا الخارجية تجاه أوكرانيا على مبدأ السيطرة على الجوار القريب لتأمين المجال الحيوي الروسي"، إلى جانب توظيف "منهج دراسة الحالة". **النتائج:** وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة عام 1999 أسهم في مراجعته لسياسة دولته الخارجية من خلال التركيز على المجال الحيوي واسترجاع مكانة روسيا الدولية، مما دفعه للاهتمام بأوكرانيا نظراً لموقعها الجيوسياسي ومركزيتها لدى الغرب وروسيا معاً. **الخلاصة:** ما يفسر خطوة الغزو الروسي لأوكرانيا هو سعي الرئيس بوتين للسيطرة على الأقاليم الأوكرانية الشرقية والجنوبية الناطقة باللغة الروسية.

كلمات مفتاحية: روسيا- أوكرانيا- المجال الحيوي- الولايات المتحدة الأمريكية- حلف الشمال الأطلسي.

Abstract:

Objective: This research paper aims to address the Russian foreign policy towards Ukraine based on the theory of lebensraum theory, which considers the state as a living organism that grows and expands with the breadth of interests and goals. After the collapse of the Soviet Union and the disintegration of its states, the Russian Federation was absent from the international arena for an entire decade, as a result of its self-indulgence and its arrangement of its internal affairs. This allowed the United States of America to consolidate its influence and entice many former Soviet republics to join the North Atlantic Treaty Organization. **Methods:** The premise that "Russia's foreign policy toward Ukraine is based on the principle of controlling the immediate neighborhood to secure the Russian vital space" was relied upon, in addition to employing the "case study method". **Results:** the coming to power of Vladimir Putin in 1999 contributed to his revision of his country's foreign policy by focusing on the vital sphere and restoring Russia's international position, which prompted him to pay attention to Ukraine due to its geopolitical location and its centrality to the West and Russia together. **Conclusion:** what explains the step of the Russian invasion of Ukraine is President Putin's quest to control the Russian-speaking eastern and southern Ukrainian regions.

Keywords: Russia - Ukraine - Lebensraum - USA – NATO.

المؤلف المرسل: حفيظة طالب، hafidatab12@gmail.com

1. مقدمة:

ارتبطت نظرية المجال الحيوي بالمفكر الجيوبوليتيكي فريدريك راتزل Friedrich Ratzel عبر كتابه "الجغرافية السياسية"، الذي اعتَبَرَ فيه الدولة كائناً حياً ينمو ويتطور بفعل الضرورة المدفوعة بغريزة التوسع بهدف ضم أراضي جديدة وزيادة المساحة الجغرافية، وهو ما عمدت إليه ألمانيا برئاسة أدولف هتلر Adolf Hitler أثناء الحرب العالمية الثانية وطموحها للتوسع شرق أوروبا وعلى حساب روسيا تحديداً. لينتهي هذا الطموح بخسارة دول المحور الحرب التي حُسِمَتْ لصالح دول التحالف، وينتهي معها أيضاً الفكر التوسعي الجغرافي أو مفهوم المجال الحيوي "Lebensraum". في مقابل ذلك برز الفكر التوسعي

الأيدولوجي المتمثل في التنافس بين المعسكرين الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفياتي، ليستمر ذلك إلى غاية تراجع الأيدولوجية الاشتراكية بسقوط الاتحاد السوفياتي واستقلال حوالي 15 دولة سوفياتية عن روسيا الاتحادية، وتوجه بعضها للانضمام إلى المؤسسات الغربية على غرار الاتحاد الأوروبي وحلف الشمال الأطلسي نتيجة تأثيرها بالفكر اللبرالي.

ومع بروز المشاكل الأمنية الجديدة عقب نهاية الحرب الباردة على غرار الحروب اللاتماثلية والنزاعات الداخلية والصراعات القبلية وأيضاً ظهور أهمية الطاقة بفعل زيادة حاجة الدول إلى النفط والغاز الطبيعي، عاود مفهوم المجال الحيوي للظهور من جديد في سياسات الدول الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي سخرت مراكزها الفكرية لصياغة المفاهيم التي تشرعن من خلالها تواجدها في المجالات الحيوية المختلفة على غرار مفاهيم "الحرب على الإرهاب"، "التدخل الانساني"، "التدخل العسكري" وغيرها... في حين اهتمت روسيا الاتحادية بترتيب بيتها الداخلي وانكفأت على ذاتها قرابة العشر سنوات أين فقدت على إثرها مكانتها ضمن الدول العظمى رغم امتلاكها لمقعد دائم في مجلس الأمن الدولي.

إنّ تخلي الرئيس بوريس يلتسين Boris Nikolaevič El'cin عن مفهوم المجال الحيوي طيلة فترة حكمه (1991-1999) وقبله تفكك الاتحاد السوفياتي، دفع بالرئيس فلاديمير بوتين Vladimir Poutine الذي تولى منصب الرئيس بالنيابة عام 1999 إلى إعادة توظيف مفهوم المجال الحيوي الروسي بنظرة جديدة تشمل أوراسيا بأكملها وليس أوروبا الشرقية فحسب، بغية فرض توازنات إقليمية ودولية جديدة تعيد النظر في طبيعة النظام الدولي، بمنح روسيا فرصة الظهور كقطب دولي منافس للولايات المتحدة الأمريكية.

وفق هذا الهدف اعتمد الرئيس بوتين سياسة خارجية جديدة من خلال توظيفه للأبعاد الجغرافية والثقافية والدينية الرامية لإعادة رسم المجال الحيوي الروسي، بدءاً بالتدخل العسكري في جورجيا عام 2008 والاعتراف بأوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، مروراً بضم جزيرة القرم عام 2014 والتدخل العسكري في سوريا خريف عام 2015، وصولاً إلى غزو أوكرانيا شهر فبراير 2022. فاللافت للنظر أنّ قرار الغزو جاء كخطوة أخيرة عقب فشل المساعي الروسية الدبلوماسية لفك ارتباط أوكرانيا بالغرب ومنع انضمامها إلى حلف الناتو.

وتأسيسا على ذلك تهدف الدراسة إلى التعرف على أهمية المجال الحيوي في الفكر الاستراتيجي للرئيس بوتين الذي يحمل رؤية ومشروع روسي يتضمن بناء اتحاد سوفياتي جديد على أراضي أوراسيا، بما يسمح لروسيا بفرض ترتيباتها الأمنية في إطار نظام دولي متعدد الأقطاب.

ومما تقدم تعالج هذه الورقة البحثية إشكالية مفادها:

- كيف أعاد الرئيس فلاديمير بوتين قراءة المجال الحيوي الروسي انطلاقا من سياسة روسيا الخارجية تجاه أوكرانيا؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي كالآتي:

- فيما تتمثل أفكار نظرية المجال الحيوي؟

- ما هي أهمية أوكرانيا في المجال الحيوي الروسي؟

- إلى ماذا تطمح روسيا من غزو أوكرانيا؟

- هل حققت روسيا أهدافها في أوكرانيا؟

وللإجابة على هذه الإشكالية والتساؤلات المتفرعة منها تم تبني **الفرضيات** التالية:

- تقوم سياسة روسيا الخارجية تجاه أوكرانيا على مبدأ السيطرة على الجوار القريب لتأمين المجال الحيوي الروسي.

- إنّ نجاح سياسة الغزو الروسي لأوكرانيا أمام رضوخ حلف الناتو للأمر الواقع سيسهم في تآكل مصداقية الغرب مقابل تعزيز روسيا لعلاقاتها مع جمهورياتها السابقة ذات الطموح الغربي.

- تملك روسيا كل المقومات الجغرافية، والدينية، والثقافية لإعادة رسم مجالها الحيوي.

وفيما يخص المقاربة المنهجية والنظرية ارتأينا توظيف "منهج دراسة حالة" الذي سيساعدنا على فهم السياسة الخارجية الروسية الجديدة التي تستند على البعد الجيوبوليتيكي من خلال التركيز على الدولة الأوكرانية التي تعد قلب أوروبا الشرقية فهي تحتل مكانة كبيرة في الفكر الاستراتيجي الروسي، وهي دولة محورية بالنسبة للغرب وروسيا معا، مما يعني بسط النفوذ عليها سيتمنح كل طرف امتياز اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وحتى حضاريا. ويضاف إلى ذلك أيضا تطبيق نظرية المجال الحيوي القائمة على توسيع حدود

الدولة سواء بضم أراضٍ جديدة (جزيرة القرم) أو الاعتراف بالأقاليم الموالية لها لغويا وثقافيا كلوهانسك ودونيتسك.

وفي سياق الإجابة على الإشكالية المطروحة والتأكد من الفرضيات المصاغة تم تقسيم الدراسة إلى المحاور الآتية الذكر:

أولاً: نظرية المجال الحيوي

ثانياً: أهمية أوكرانيا في المجال الحيوي الروسي

ثالثاً: طموح روسيا من غزو أوكرانيا

رابعاً: تقدير مبدئي لنتائج الحرب الروسية الأوكرانية

2. نظرية المجال الحيوي:

تُعتبر نظرية المجال الحيوي من بين أهم نظريات الجغرافية السياسية التي تمخضت عن المدرسة الألمانية في القرن التاسع عشر، والتي اعتبرت الدولة كائناً حياً ينمو ويتطور وفق قوانين الطبيعة، أين لا جغرافيا واضحة المعالم ولا مساحة محدودة القياس، وإنما حدود تتسع وتنمو بنمو المصالح والأهداف السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، وحتى الثقافية للدولة؛ فقد تختلف وسائل وآليات تطبيق هذه النظرية عملياً من دولة إلى أخرى إلا أنّ الهدف يبقى ثابتاً وهو مدّ النفوذ وبسط السيطرة على المناطق الحيوية.

وعلى هذا الأساس فإنّ المجال الحيوي كمفهوم جيوبوليتيكي يتضمن في ثناياه مدلولاً استعماريّاً لأنّه ارتبط سابقاً بالإمبراطوريات القديمة، وعقب تبلوره كمفهوم شائع على لسان الجغرافي فريدريك راتزل Friedrich Ratzel تحول إلى نظرية من نظريات الجيوبوليتيك التي تستخدمها الدول الاستعمارية الكبرى بهدف التوسع على حساب الدول الصغيرة، وبغرض تحقيق مصالحها وأجندات سياساتها الخارجية بغض النظر عن مصير الشعوب المستعمرة (الجنابي، 2019).

ويرتبط الظهور الأول لمفهوم المجال الحيوي بمؤلّف فريدريك راتزل الذي يبحث في موضوع الجغرافية السياسية الصادر عام 1897، أين توصل من خلاله إلى أنّ حدود الدولة قابلة للتغيير والترحّل، وهو ما من شأنه أن يؤلّد الصراع الذي قد يصل إلى درجة الحرب فيما بين الدول، جرّاء تصادم المصالح سواء في منطقة الحدود الجغرافية أو مناطق أخرى (ظاهر، 2004، الصفحات 93-141). فتصور راتزل يقوم على أساس أنّ الدول كائنات حية تُناضل من أجل البقاء، فهي تنمو وتعيد تكوين نفسها بترسيخ ذاتها ضمن مساحات جديدة وهي تتكيف مع بيئتها، لذلك فإنّ الدولة هي مشروع غير مكتمل في طور

التكوين على الدوام وليست مصنعة أبداً، أين بقائها يتطلب مجالا حيويًا يركز على زيادة مساحة الدولة فكّما كانت المساحة أكبر كلما زاد الأمن؛ كما يركز أيضا على فضاء جديد يتم تشكيله ثقافيا وليس بيولوجيا بشكل أساسي. وبالنسبة لفكرة توسع الدولة فهو أمر إرادي وليس طبيعي يتمثل في الاستغلال العقلاني لكل الموارد المتاحة المادية والمعنوية (k.Palat, 2018, pp. 25-27). أمّا مسألة الثقافة فهي متعلقة بتوظيف أدوات القوة الناعمة للتغلغل في المجال الحيوي وضمان ولاءات التركيبات السكانية المختلفة، إمّا عن طريق نشر اللغة أو الدين وغيرها،، ممّا يسمح بتعزيز نفوذ الدولة في محيطها على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية لاسيما وإن كانت هذه التركيبات السكانية في شكل مجموعات تعيش حالة من الاقصاء السياسي والتهميش الاقتصادي من طرف حكومة الدولة التابعة لها إداريا.

وعلى هذا الأساس يجمع مفهوم راتزل للمجال الحيوي بين علم البيولوجيا، وعلم الجغرافيا، والظروف الأنثروبولوجية في الآن ذاته، أين يرى راتزل أنّ التمييز بيولوجيا بين الكائنات الحية مرتبط بظاهرة النمو التي تتم عبر عدة وظائف حيوية متناسقة و متميزة تؤديها الأعضاء، وهو الأمر الذي يشبه عمليا الجغرافيا السياسية فعلية نمو الدولة تحدث عندما يتسع حيزها المكاني (Abrahamsson, 2013, pp. 37-44). ويعتمد راتزل في تشبيهه هذا على نظرية داروين التي ترى بأنّ القوانين المتحركة في المجال العضوي الطبيعي تنطبق على نفس القدر من الصلاحية على المجتمع البشري، وهذه القوانين هي التي تحكم التطور والنمو المستمر لجميع الكائنات الحية جنبا إلى جنب مع مبدأ البقاء اللامتناهي القائم على الصراع. وبالإسقاط على مجال السياسة الدولية نجد بأنّ الداروينيين الاجتماعيين قد اعتبروا الدولة وحدة أنثروبولوجية مقابلة للكائن الحي الطبيعي نموها مرتبط بتوسعها المادي، لذلك الساحة الدولية حسبهم عبارة عن غابة من الوحدات الأنثروبولوجية المتنافسة والتي تكافح كل منها الأخرى من أجل البقاء (Bassin, 2016).

وانطلاقا من أفكار النظرية الداروينية وضع راتزل سبع قوانين لنمو الدولة وهي ممثلة في العناصر الآتية الذّكر (ظاهر، 2004، الصفحات 93-141):

- 1- يرتبط النمو بمدى انتشار حضارة الدولة وثقافتها.
- 2- يتعلق نمو الدولة بنمو أنشطة سكانها على مختلف الأصعدة.
- 3- دمج واستيعاب الوحدات الدولية الصغرى.
- 4- الحدود الاصطناعية للدولة هي الغلاف الخارجي لها، بقدر اتساعه يزداد حجم الدولة وقوتها.

- 5- يقتزن نمو الدولة من الناحية السياسية بضم أقاليم وسواحل غنية بالثروات والموارد الطبيعية.
- 6- الهدف نحو التوسع يبدأ من الخارج بالتأثر بالدولة الأكثر مدنية.
- 7- الميل إلى التوسع ينشأ أيضا بفعل ثقافة التقليد، فمبادرة دولة بالتوسع يفتح الشهية لباقي الدول الأخرى.

يتضح من خلال هذه العناصر السبع أنّ راتزل يولي أهمية كبيرة لفكرة نمو الدولة فهو شرط أساسي لضمان بقائها، وأمنها، وقوتها في ظل عالم تحكمه النزعة التوسعية، فحالما نجحت الدولة في نشر حضارتها وأيديولوجيتها الفكرية ووصول سلعها إلى الأسواق القريبة والبعيدة، وضم الأجزاء المحيطة التي بإمكانها أن تشكل الجدار الواقعي لها من التهديدات الخارجية، ويسط نفوذها على الممرات والمنافذ البحرية فإنّها ستحتل مكانة عالمية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فكرة التوسع مثلما قد تكون مادية (زيادة المساحة) يمكنها أن تكون معنوية (الغزو الثقافي)، ومثلما يمكنها أن ترتبط بالنزعة الذاتية يمكنها أن تكون استجابة لميزات البيئة الفوضوية الناتجة عن ميول الدول الأخرى للتوسع.

وبما أنّ ظاهرة النمو هي ظاهرة طبيعية بالنسبة للكائن الحي فلا يجوز الاعتراض على نمو الدولة أو بالأحرى توسعها لأنّ الأخيرة لا يمكنها التقيّد بحدودها الجغرافية. فالدولة عند راتزل تتحرك بشكل ديناميكي مستمر حتى تتمكن من تحقيق متطلبات وجودها وتُمدّد حدود مساحتها الجغرافية، أين تختفي جميع الدول الصغيرة غير القادرة على البقاء، وتبدأ الدول الكبرى في التوسع على حساب بعضها البعض حتى تبقى دولة واحدة، فالأرض حسب راتزل لا تكفي سوى لدولة واحدة فقط (صخري، 2019).

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأنّ امتداد المجال الحيوي مرتبط بامتداد المصالح والحاجة إلى الموارد الطاقوية، والثروات الطبيعية والسيطرة على المنافذ والممرات البحرية، فهي أهم دوافع اجتذاب القوى الدولية لوضع موضع قدم لها في المجالات الحيوية القريبة والبعيدة، وتوسيع دائرة تأثيرها ونفوذها الدولي (راقدي، 2017، الصفحات 209-220). وعلى هذا النحو نستنتج بأنّ المجال الحيوي قد يرتبط بالجوار الجغرافي للدولة كما يمكنه أن يمتد إلى أبعد من ذلك نظرا لارتباطه بالأهداف والمصالح الاستراتيجية للدول، فتوسع الدولة ونموها لا يرتبط بزيادة مساحة الدولة وفقط، وإنما يشمل أيضا حجم التأثير الأيديولوجي والتفوذ الاقتصادي والسياسي.

3. أهمية أوكرانيا في المجال الحيوي الروسي:

إنّ ما يجمع أوكرانيا بروسيا أكثر ممّا يفرقهما فكلاهما يشتركان في العديد من الروابط والخصائص الجغرافية، والثقافية، والدينية، بحكم موقعهما وانتمائهما السابق للاتحاد السوفياتي، أين شكلت أوكرانيا ثاني أقوى الجمهوريات السوفياتية بعد روسيا الاتحادية، ومقرا لثلاثي الأسلحة النووية السوفياتية، لذا مثّل استقلالها عام 1991 صدمة كبيرة للقادة الروس خاصة عقب توجهها تدريجيا نحو الغرب وسعيها لنيل العضوية في حلف الناتو، وهو الأمر الذي ترفضه روسيا لأنها ترى بأنّ الغرب أخل بوعده الذي قطعه عام 1990 فيما يخص عدم التّقدم في مجالها الحيوي، وهو ما حدث فعلا بمنح الناتو العضوية لبولندا، والمجر، وليتوانيا، وإستونيا، ولاتفيا، والآن يسعى إلى اجتذاب أوكرانيا التي أبانت هي الأخرى عن طموحها الغربي وهو ما يعزز من مخاوف موسكو الاستراتيجية. (أنظر الخريطتين 1 و2)

خريطة رقم (2): توضح التواجد الأطلسي حاليا في المجال السوفياتي سابقا



خريطة رقم (1): توضح المجال الحيوي السوفياتي أثناء الحرب الباردة



المصدر: حليم فرنسيس، فيرونیکا. 2019، ص ص 153 – 155، في: <https://bit.ly/3xwBFb6>

تظهر من خلال الخريطة رقم (1) الدول التي كانت تحت النفوذ السوفياتي أثناء الحرب الباردة وهي معظم دول أوروبا الشرقية، على غرار دول البلطيق ودول البحر الأسود، والتي استطاع حلف الشمال الأطلسي استمالتها بمنحها العضوية، وبالتالي نجح الأخير في اختراق المجال الحيوي السوفياتي ووضع صواريخه الدفاعية بالقرب من روسيا الاتحادية لاسيما في أراضي بلغاريا، وصربيا، والمجر كما توضحه الخريطة رقم (2). حيث باستثناء دولة بيلاروسيا لم يعد هنالك أي فاصل بين روسيا الاتحادية والناتو على الحدود الغربية، وهو الأمر الذي يستدعي وقف التمدد الأطلسي في المجال الحيوي الروسي بمنع الغرب من احتواء أوكرانيا وضمها لحلف الناتو.

وبالعودة إلى العاصمة الأوكرانية "كييف" نجد بأنّها تتمتع برمزية تاريخية لدى القادة الروس، فالأخيرة تعد في نظرهم أم المدن الروسية ومركزا للحضارة الأرثوذكسية الشرقية، أين شكّلت أوكرانيا المعروفة قديما باسم روس كليف مركز القرون الوسطى للسلاف الشرقيين، ممّا جعل روسيا تبسط سيطرتها على أجزاء كبيرة من أوكرانيا في القرن التاسع عشر. ويضاف إلى الجانب الحضاري والاستعماري أيضا جانب الديانة، فكلاهما مرتبطتان بالكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، لذلك تعتبر أوكرانيا مجالا حيويا للصراع بين الكاثوليكية الغربية والأرثوذكسية الروسية، فغالبيتها سكان الجزء الغربي من أوكرانيا هم كاثوليك في حين أنّ الجزء الجنوبي والشرقي هم من العنصر الروسي الأرثوذكسي (علي، 2017، الصفحات 149-187).

وعلى الرغم من سيطرة روسيا الاتحادية على أوكرانيا منذ الإعلان عن قيام الاتحاد السوفياني عام 1922، إلا أنّه كانت هنالك أصوات أوكرانية وطنية معارضة تطالب بالاستقلال عن الاتحاد السوفياني، ومع ذلك ظلت روسيا الاتحادية رافضة للقومية الأوكرانية إلى غاية نهاية الحرب الباردة وعجزها عن التمسك بأوكرانيا، لتفقد على إثرها عدّة أراضي كانت تعتبر تاريخيا جزءا منها (القرني، 2022). وعلى هذا النحو واصلت موسكو التهديد بمراجعة الحدود وتعزيز فكرة التقسيم الحتمي لأوكرانيا إلى جزء غربي وآخر شرقي، فما كان أمامها سوى الابطاء بالاعتراف بجمهورية أوكرانيا المستقلة إلى غاية عام 1997، لاسيما عقب بسط الأخيرة نفوذها على جميع قواعد أسطول البحر الأسود تقريبا، إضافة إلى مجموعات القاذفات الاستراتيجية والصواريخ المسلحة بأكثر من 1700 رأس نووي، ومحطتي الإنذار المبكر بالهجوم النووي في جزيرة القرم وميناء سيفاستوبول، فبدونهما يفقد نظام الدفاع المضاد للصواريخ الرؤية في الجنوب الغربي من أوكرانيا، لذلك توصل الطرفان إلى عقد اتفاق يقضي بتأجير هذين المينائين إلى روسيا (Olszafski, N d).

وتأسيسا على ذلك تتمتع أوكرانيا بأهمية جيوأمنية بالغة بالنسبة لروسيا الاتحادية منذ فترة الاتحاد السوفياني وإلى غاية اليوم، نظرا لرغبتها في السيطرة على البحر الأسود الذي يشكل أساس أمنها القومي لاسيما بعد انضمام اثنين من هذه الدول المطلّة على البحر الأسود إلى حلف الناتو وهما رومانيا وبلغاريا. ويضاف إلى ذلك أيضا تركيا الواقعة جنوب البحر الأسود والتي تسيطر على مضيقي الدردنيل والبوسفور أهم منافذ البحر الأسود وفق معاهدة مونترو الدولية عام 1936، (أنظر الخريطة رقم 3) وتبعاً لذلك تحرص روسيا على منع الغرب من تطويقها واحتواءها بناء على إبقاء تواجد العسكري في ميناء سيفاستوبول الواقع في شبه جزيرة القرم المطلّة على البحر الأسود.

خريطة رقم (3): توضيح الدول المطلة على البحر الأسود



المصدر: عرفات، الشيماء. 2020، في: <https://bit.ly/3KbDZfA>

وما يُبرز أهمية الجيوبوليتيك في الفكر الاستراتيجي الروسي هو حرص الكرملين على وضع خطط استراتيجية تهدف إلى ضمان استمرار المناطق الفاصلة والحاجزة بينها وبين الغرب، ومد النفوذ الروسي في اتجاهات أبعد من الحدود السوفياتية السابقة، بما يضمن استعادة دور روسيا كقطب دولي منافس للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما يمكن فهمه من خلال مخاطبة الرئيس فلاديمير بوتين للشعب الروسي قائلا "أكبر كارثة جيوسياسية حدثت في القرن العشرين هي انهيار الاتحاد السوفياتي، ومن لم يحزن على انهيار الاتحاد السوفياتي فلا قلب له، ومن يريد إعادته بحلته السابقة فلا عقل له" (الباز، 2022).

وباعتبار أنّ أوكرانيا أهم الدول الواقعة في المجال الحيوي الروسي فإنّ القيادة الروسية عمدت التدخل في شؤونها الداخلية بغرض ضمان تبعيتها عبر سيطرة البيروقراطية الشيوعية على العملية السياسية الأوكرانية، وهذا ما تجسّد من خلال دعم المرشح فيكتور يانكوفيتش Viktor Yanukovych في الرئاسة الأوكرانية عام 2004، غير أنّ نشوب الثورة البرتقالية حال دون ذلك نتيجة الاحتجاجات الراضية والمعارضة لحكم يانكوفيتش، ليتم تولية فيكتور يوشينكو Viktor Youchtchenko السلطة في العام نفسه، وهو الذي يمتلك نظرة إصلاحية وطموح أوكراني غير مسبوق لنيل العضوية في حلف الناتو (Woehrel, 2005, pp. 1- 10).

وبعد مرور خمس سنوات كاملة على الثورة البرتقالية عاد يانكوفيتش إلى السلطة على حساب زعيم الثورة فيكتور يوشينكو معلنا نجاح الثورة المضادة التي دعمتها روسيا. ففي الوقت الذي انشغل فيه الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية بالأزمة الاقتصادية عام 2008، تمكنت روسيا من تحقيق استقرار

نسبي على المستوى السياسي والاقتصادي، ونجحت في إعاقه حكم يوشينكو والانقلاب على دستور الثورة البرتقالية مستخدمة الغاز كورقة ضغط على أوكرانيا. أين بذل النظام الروسي جهدا كبيرا لتوتير الوضع الداخلي الأوكراني لاسيما في المناطق الشرقية الموالية لروسيا، إلى جانب استغلال تدهور القدرة المعيشية وارتفاع الأسعار، مما أدى إلى صعود يانكوفيتش إلى الحكم مرة ثانية عن طريق انتخابات 2010. وقد أعقب هذا الحدث توقيع العديد من الاتفاقيات بين الطرفين في مجال الطاقة، إلى جانب تطوير العلاقات الاقتصادية والثقافية بين البلدين، وتمديد عقد اتفاقية بقاء الأسطول الروسي في البحر الأسود (بمبنى سيفاستوبول) مقابل تخفيض سعر الغاز الطبيعي الموجه لأوكرانيا (عمرو، 2014). بيد أن ذلك لم يستمر طويلا فسرعان ما عادت الاحتجاجات الشعبية من جديد نتيجة قرار الرئيس يانكوفيتش الرافض للتوقيع على اتفاقية الارتباط مع الاتحاد الأوروبي والمندرجة ضمن برنامج الشراكة الشرقية الخاصة به. وبفعل تصعيد الأحداث وبلوغها درجة العنف تم الإطاحة بحكم يانكوفيتش والإعلان عن حكومة انتقالية مشكلة من ائتلاف سياسي مؤيد للغرب برئاسة ألكسندر تورتشينوف Oleksandr Tourtchynov عام 2014 (كوفمان و آخرون، 2017، صفحة 1).

ومن هذا المنطلق فإن سياسة روسيا التدخلية في أوكرانيا نابعة من نظرة بوتين التاريخية لها، فهو يعتبرها صناعة بلشفية من طرف فلاديمير لينين Vladimir Ilyich Lenin الذي جعلها تنمادى في إحساسها بالدولة القومية المستقلة في بدايات الاتحاد السوفياتي، لذلك يسعى بوتين إلى تصحيح هذه النظرة الخاطئة باحتواء أوكرانيا سياسيا وضمان عدم ابتعادها عن الدائرة الروسية.

وعقب فشل النظام الروسي في وأد الطموح الأوكراني للانضمام إلى حلف الناتو سياسيا أقدم على خطوة جريئة تمثلت في التدخل عسكريا في جزيرة القرم، أين تمكنت روسيا من ضمها وبسط السيطرة عليها شهر فبراير 2014، إلى جانب دعمها العلني للحركات الانفصالية الموالية لها في إقليم دونباس وهو ما يؤكد على الموقع التاريخي للدولة الأوكرانية كأرض حدودية ومنطقة صراع بين روسيا والغرب من جديد. ففي الوقت الذي تسعى فيه الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها زعيمة حلف الناتو إلى حماية المبادئ الموجهة للغرب، فإن روسيا تتبنى المنظور الجيوسياسي الذي يدافع عن مجالها الحيوي، فليس لدى الأخيرة أي نية في السماح للدول المجاورة بالدخول في مجال نفوذ الغرب من خلال عضوية الناتو أو الاتحاد الأوروبي، لأن ذلك سيحول أوكرانيا إلى دولة معارضة لروسيا ومتماهية مع سياسات الدول الشرقية المعادية للكرملين. ففي هذا السياق لطالما أبدى الرئيس بوتين سعيه إلى التأسيس لروسيا كقوة عالمية، فقد أكدت

السياسة الخارجية الروسية الجديدة منذ عام 2000 عن الحاجة إلى حزام صديق على محيط الحدود الروسية (Santayana, 2011, pp. 3- 11).

لذا فإنّ بلوغ هذا المسعى يستدعي نمو وتوسيع حدود الدولة الروسية حسب نظرية المجال الحيوي وهو ما تجسّد فعلياً بترجمة رسالة بوتين "روسيا على عتبة الألفية الجديدة" حيث تدخلت القوات الروسية عسكرياً في جورجيا عام 2008 بحجة الدفاع عن أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا وهما جمهوريتان سعتا للانفصال بدعم روسي، ليواليه ضم جزيرة القرم شهر فبراير 2014 ودعم الانفصاليين شرق أوكرانيا، في تحذير من روسيا للاتحاد الأوروبي وحلف الناتو للكف عن التوسع في مجالها الحيوي لاسيما أوكرانيا وجورجيا ومولدافيا. وحتى التدخل العسكري الروسي في سوريا شهر أكتوبر 2015 كان بغرض ضمان التواجد في سواحل البحر الأبيض المتوسط، والربط بين القاعدة العسكرية في طرطوس وميناء سيفاستوبول مقر تواجد الأسطول الروسي على البحر الأسود. وبعد غياب أي رد غربي حاسم على تحركات روسيا العسكرية طالب الرئيس بوتين بتعهدات و ضمانات من البيت الأبيض بعدم توسع حلف الناتو على حدود روسيا. كانت هذه كخطوة دبلوماسية أولى قبل أن يتم التحذير من خلال حشد القوات الروسية على طول الحدود مع أوكرانيا والاعتراف بانفصال جمهوريتي دونيتسك ولوغانسك في 21 فبراير 2022، ثم شن حرب فعلية على أوكرانيا بدأت بدعم لوجستي للحركات الانفصالية لاحتلال إقليم دونباس الواقع شرق أوكرانيا، ليتم فيما بعد دخول الجيش الروسي إلى مناطق أخرى والوصول إلى غاية العاصمة كييف. وهذه الخطوات تدخل ضمن بحث روسيا عن ترتيبات أمنية جديدة في أوروبا يُعترف فيها بمكانة روسيا العظمى ومجالها الحيوي من جهة، ومن جهة أخرى حرصها على عدم نيل أوكرانيا العضوية في حلف الشمال الأطلسي سواء من خلال تعهد أمريكي أو عبر الجهود الروسية العسكرية الرامية لضمان أمنها القومي وصد أي اختراق لمجالها الحيوي (بشارة، 2022، صفحة 1).

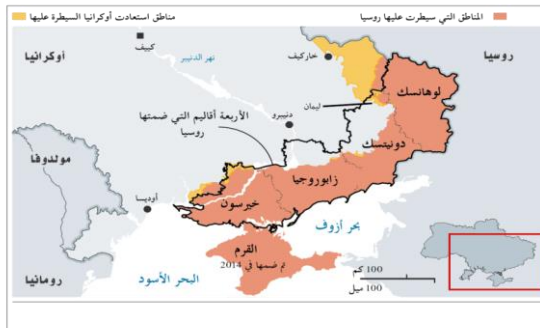
ومّا تقدم يمكن القول بأنّ الرئيس فلاديمير بوتين يبحث عن كتابة تاريخ جديد للنظام الدولي بوضع روسيا مرة أخرى في قلب المعادلة الدولية، من خلال تبني مفهوم المجال الحيوي الذي تخلّى عنه الرئيس الأسبق بوريس يلتسين جراء عدم اعتراضه على تفكك جمهوريات الاتحاد السوفياتي. أين تسعى روسيا اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى استعادة نفوذها في جوارها الإقليمي ببناء جدار واقٍ لها من الغرب؛ ففشل مساعيها الدبلوماسية في وقف تمدد حلف الناتو على حدودها دفع بها إلى توظيف القوة العسكرية ومبدأ التدخل لفرض توازنات جديدة تضمن أمنها القومي.

4. طموح روسيا من غزو أوكرانيا

رغم ضم روسيا لجزيرة القرم في بدايات عام 2014 إلا أنّها لا تزال ترغب في السيطرة على المزيد من أراضي أوكرانيا، لاسيما وأنّ الأخيرة تسعى لتعزيز التقارب مع الغرب من خلال تمسكها بطلب الانضمام للاتحاد الأوروبي ونيل العضوية الأطلسية، وهو الأمر الذي ترفضه روسيا لأنّها ستكشف أمنيا أمام قوات الناتو وصواريخه الدفاعية، لذلك لم يشكل قرار الغزو مفاجأة للمجتمع الدولي الذي فشلت عقوباته في ثني روسيا عن أهدافها ومواقفها الداعمة للانفصاليين الموالين لها.

وعلى هذا الأساس باشرت القوات الروسية عملياتها العسكرية في أوكرانيا فجر الرابع والعشرين من شهر فبراير 2022، بعد حشد عسكري على طول الحدود الروسية الأوكرانية الشمالية والشرقية والجنوبية ومع مقاومة صلبة للجيش النظامي الأوكراني، وفي ظل معارضة دولية لقرار الحرب الذي اتخذته الرئيس بوتين (مركز الجزيرة للدراسات، 2022، صفحة 1). وبطبيعة الحال كان لهذه الخطوة الروسية ردود فعل غربية تمثلت في مجموعة من العقوبات التي طالت البنك المركزي الروسي وصندوق الثروة السيادي، إلى جانب إزالة بعض البنوك الروسية من نظام سويفت للتحويلات المالية العالمية، وتجميد أصول الرئيس فلاديمير بوتين ووزير خارجيته سيرغي لافروف وألكسندر بورتنيكوف رئيس الجهاز الاستخباراتي (وكالة الأناضول). ويمكن توضيح المناطق التي سيطرت عليها روسيا بعد ثمانية أشهر من الحرب على أوكرانيا في الخريطة رقم (4):

خريطة رقم (4): توضيح المناطق التي أصبحت تحت السيطرة الروسية



المصدر: عبد الوهاب، شادي. 2022، في: <https://bit.ly/3YRBnr1>

يتضح من خلال الخريطة رقم (2) أنّ القوات الروسية تمكنت من ضم كل من لوهانسك وجزء كبير من دونيتسك، إلى جانب زابوروجيا وخيرسون، في حين أنّ القوات النظامية الأوكرانية نجحت في استعادة

خاركيف، وبهذا تكون روسيا قد حققت أهم هدف استراتيجي في حربها ضد أوكرانيا وهو نجاحها في بناء جسر بري على طول الساحل الجنوبي الأوكراني والانفراد أيضا ببحر أزوف والمنافذ المائية المحيطة بجزيرة القرم.

وفي سياق الغزو الروسي لأوكرانيا والذي يندرج ضمن استراتيجية روسيا الجديدة أيد المفكرون الاستراتيجيون الروس التحركات العسكرية الروسية في أوكرانيا من خلال المطالبة بأخذ شرقها وجنوبها. فما يقارب 65% من سكان روسيا الأصليين يعتبرون جزيرة القرم وشرق أوكرانيا أراض روسية بالأساس ومن حق الكرملين توظيف القوة القسرية لاستعادتها (خشيب، 2018، الصفحات 97-121). فبالنسبة للمفكر الاستراتيجي وصاحب نظرية الأوراسية الجديدة -التي تدرج ضمن نظريات الجغرافيا السياسية- ألكسندر دوغين Alexander Dugin يرى بأن أوكرانيا كدولة ليس لها أي معنى جيوسياسي، فهي حسب لا تملك أي رسالة ثقافية خاصة ذات أهمية عالمية، أو أي تفرد جغرافي، أو أي استثنائية عرقية. فسيادة أوكرانيا تعد ظاهرة سلبية للجغرافيا السياسية الروسية، حيث بإمكانها إثارة الصراعات العسكرية لأنها كدولة مستقلة مع طموحاتها الغربية تشكل تهديدا كبيرا لروسيا، ودون حل مشكلة أوكرانيا فلا معنى للحدث عن الجغرافيا القارية. لذلك وجب تقسيمها إلى عدة مناطق تتوافق مع مجموعة الحقائق الجيوسياسية والعرقية والثقافية وهي كالتالي: أوكرانيا الغربية، روسيا الصغرى (الأراضي الأوكرانية إلى الشرق من نهر دنيبر)، أوكرانيا الوسطى (الضفة اليمنى لنهر دنيبر)، وأخيرا شبه جزيرة القرم التي ضمتها روسيا عام 2014. أين أوكرانيا الغربية تعد دخيلة على الثقافة الروسية، في حين أنّ روسيا الصغرى والتي ترتبط مع روسيا الاتحادية من حيث الثقافة والدين واللغة قد تشكل منطقة جيوسياسية مستقلة تتمتع بحكم ذاتي مرتبط بموسكو، أما أوكرانيا الوسطى فيهيمن عليها عرقيا القليل من الاثنيات الناطقة باللغة الروسية. (Shekhovtsov, N d, pp. 187- 189).

نظرة ألكسندر دوغين هاته تختصر هدف الرئيس بوتين من غزو أوكرانيا، والمتمثل في التوسع شرقا وغربا بغية إعادة رسم المجال الحيوي الروسي. أين يطمح بوتين للسيطرة على كافة المناطق الناطقة باللغة الروسية سواء في أوكرانيا، أو جورجيا، أو دول البلطيق. وذلك بتبني سياسة خارجية جديدة تسعى لإعادة بناء الاتحاد السوفياتي ولكن بصورة جديدة. (أنظر الخريطة رقم 5).

خريطة رقم (5): توضح تصور دوغين للاتحاد الأوراسي الذي تنزعه روسيا



المصدر: <https://bit.ly/3I5eqKm>

توضح الخريطة أعلاه أنّ هدف روسيا لإعادة رسم مجالها الحيوي لم يعد يقتصر فقط على الفضاء السوفييتي التاريخي السابق وإنما يشتمل أيضا على التوسع ضمن الفضاء الأوراسي. فحسب هذا التصور الموضح في الخريطة فإنّ كلا من بريطانيا وتركيا وحتى الأجزاء المتبقية من أوراسيا ستكون تحت النفوذ الروسي. فتشكيل إمبراطورية أوراسية بقيادة روسيا تتطلب تعزيز الفرص الاقتصادية والعسكرية، وكذا استغلال الروابط اللغوية، والقومية الروسية، وهذا ما بدأت روسيا بوتين في تجسيده من خلال ضم الأقاليم الناطقة بالروسية -تحت ذريعة الإبادة التي طالتهم- وبسط نفوذها على ثرواتها الطبيعية والطاقوية، وكسب المزيد من القواعد العسكرية لاسيما في المناطق القريبة من المياه الدافئة.

على هذا النحو، محور اهتمام روسيا لا يتعلق بالجمهوريتين المستقلتين في إقليم دونباس (لوهانسك ودونيتسك) بقدر ما يرتبط بدحض أي احتمال لانضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو. كما أنّ الاعتراف بهما ما هو إلا جزء من الصراع مع الغرب، ويدخل ضمن البحث عن ترتيبات أمنية جديدة يُعترف فيها بمكانة روسيا العظمى وبمجالها الحيوي من ناحية، ومن ناحية أخرى ضمان عدم نيل أوكرانيا للعضوية في الحلف الأطلسي لصد أي اختراق لمجالها الحيوي (بشارة، 2022، صفحة 5، 6). فوحدة صنع القرار الخارجي الروسي تدرك جيدا أن توسع حلف الناتو شرقا يجعل روسيا غير قادرة على مواجهة التهديدات البرية، والبحرية، والجوية، لذلك اتجهت مراكز الفكر الاستراتيجية في روسيا إلى إعادة قراءة نظرية هالفورد ماكيندر Halford Mackinder "من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم ومن يسيطر على قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم، ومن يسيطر على جزيرة العالم يحكم العالم"، وبالتالي

بوتين يعلم جيدا أنّ أوكرانيا هي قلب أوروبا الشرقية، وضم الغرب لها يعني تحجيم نفوذ روسيا والإخلال بمكانتها العالمية (القرني، 2022، صفحة 19). وفي هذه النقطة تحديداً يمكن القول بأنّ ماكيندر اعتبر أوروبا الشرقية وأوكرانيا مفتاح التوازنات العالمية وساحة للصراع بين روسيا وألمانيا في السابق، واليوم ينظر إليها بوتين والمفكر الجيوبوليتيكي دوغين على أساس أنّها ساحة للتنافس بين روسيا الاتحادية والغرب المتمثل في حلف الشمال الأطلسي.

5. تقدير مبدئي لنتائج الحرب الروسية الأوكرانية:

يختلف الأمر بين الطموح والواقع فيما يتعلق بالحرب الروسية الأوكرانية، فمشروع روسيا الأوراسي القائم على فكرة التوسع تطبيقاً لنظرية المجال الحيوي تعثره العديد من العقبات الجيوسياسية والجيوسياسية لاسيما في ظل تصادم المصالح والرؤى الدولية، وسعي الغرب ممثلاً في حلف الناتو لاستنزاف روسيا في أوكرانيا نظراً لاستحالة التفاوض بين الطرفين مما قد يطيل أمد هذه الحرب، خاصة مع انعدام أي حل أو تسوية واضحة على الأفق.

فالتصور الروسي للحرب على أوكرانيا في بداياته يختلف عن ما هو عليه الآن بعد عام كامل من الحرب، فالقيادة الروسية فجر الرابع والعشرين من شهر فبراير 2022 أعلنت عن "العملية العسكرية الخاصة"، في إشارة منها إلى عدم رغبتها إعطاء صفة "الحرب الشاملة" على هذه الخطوة، فالهدف تمحور حول الإطاحة بحكم فلاديمير زيلينسكي والجماعات العسكرية الأوكرانية القومية الرسمية وغير الرسمية، وهو الأمر الذي يفسر الحشد العسكري الروسي لضرب العاصمة كييف. وعقب فشل موسكو في تحقيق هذا التصور انتقلت إلى تصور ثاني يتمثل في السيطرة على مناطق الأغلبية القومية الروسية الواقعة في مقاطعات الشرق والجنوب الشرقي من أوكرانيا بحثاً عن تأسيس ممر بري يربط شبه جزيرة القرم بأراضي روسيا الاتحادية والتحكم في كافة الشريط الساحلي الممتد من بحر أزوف إلى جانبي الممر البري لجزيرة القرم، وبالتالي السيطرة على ميناء أوديسا وحرمان أوكرانيا من الإطلال على البحر الأسود. بيد أنّ هذا التصور الثاني لم يتحقق بمجمله فقد اضطر الكرملين لسحب قواته من مدينة خاركيف شهر سبتمبر 2022 والانسحاب من الجانب الغربي لمدينة خيرسون شهر نوفمبر 2022، إضافة إلى استمرار القتال في إقليم دونيتسك (مركز الجزيرة للدراسات، 2023، صفحة 5).

ويتضح من خلال استمرار مجريات الحرب الروسية الأوكرانية أنّ كل طرف يسعى إلى استنزاف الآخر بجعله يقبل فكرة التفاوض بشروط الطرف الأقوى على الأرض، ففي هذا الإطار يحاول الكرملين

استنزاف الغرب الداعم لأوكرانيا بتعميق أزمات الدول الأوروبية على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية جراء ارتفاع معدلات التضخم وتزايد أسعار الطاقة. في مقابل ذلك تعمل الولايات المتحدة الأمريكية جاهدة لدعم صمود الجيش الأوكراني وتمكينه من استعادة أراضيه. من هذا المنطلق فإن استمرار الحرب وعدم استمالة روسيا للصين تحديدا والتي لم تصل العلاقات الروسية الصينية إلى درجة التحالف الأمني، واستعانة الكريملين بالأسلحة الإيرانية والكورية الجنوبية، وميول المجتمع الدولي لمساندة أوكرانيا يشير إلى رؤية غير واضحة المعالم حول مستقبل الحرب الروسية الأوكرانية ومسارها التهاضي (السببيلي، 2023). كما أنّ التفكير الروسي في إعادة هيكلة الجيش من خلال الاستعداد لحملة تجنيد ثانية وتعظيم عتاده الحربي ولجوءه للاعتماد على مرتزقة "فاغنر" و"الوطنيون" يدل على مسعى الكريملين لإعادة النظر في مصالح وموازين القوى الإقليمية والدولية، وهذا من خلال الأخذ بعين الاعتبار المعطيات التي تم تجاهلها أثناء اتخاذ قرار الحرب ومن بينها عدم التمكن من السيطرة على العاصمة كييف والاضطرار للانسحاب بسبب ضعف الفارق التقني بين أسلحة روسيا وأسلحة الناتو الداعم للحكومة الأوكرانية. وإلى جانب ذلك القيادة السياسية الروسية اليوم ملزمة بإعطاء الأهمية للتكلفة السياسية الداخلية لاسيما في ظل تأثر النخبة الاقتصادية الروسية، وبالتالي من الممكن أن يرتبط مصير قيادة الرئيس بوتين بمخرجات الحرب، مما يدفع بالأخير إلى ضرورة تعظيم مكاسب روسيا الجيوسياسية حتى وإن لم يستطع تحقيق انتصار حاسم على الأرض (السببيلي، 2023).

تأسيسا على ذلك يتضح بعد مرور عام كامل على الحرب الروسية الأوكرانية أنّ أهم مكسب حققته روسيا هو إقامة ممر بري بين أراضيها القارية وشبه جزيرة القرم، مما يعني أنّ مساعي أوكرانيا والغرب لاستعادة شبه جزيرة القرم ومناطق الجنوب الشرقي باتت مستحيلة وهو الأمر الذي يجعل هذه الحرب دون أفق واضحة، فقبول روسيا فكرة الهزيمة وانسحابها من أوكرانيا يعني إنهاء المشروع الروسي الأوراسي، كما أنّ مواصلة سيطرتها على جزيرة القرم والأقاليم الانفصالية الموالية لها سيكلفها كثيرا على مختلف المستويات البشرية، والاقتصادية، والعسكرية والسياسية. أما بالنسبة لأوكرانيا فإنّها حتى وإن لم تنل العضوية في حلف الناتو إلا أنّها واقعا أصبحت منطقة نفوذ أطلسي بعد الحرب أكثر من أي وقت مضى (مركز الجزيرة للدراسات، 2023، صفحة 6، 7).

وعليه روسيا أمام مجموعة من الحقائق الجيوسياسية التي تبلورت عقب قرار الحرب الذي اتخذته في أوكرانيا، أين لا يمكنها التراجع أو الانسحاب من المناطق التي تسيطر عليها في شرق وجنوب أوكرانيا إذا

أرادت إعادة رسم مجالها الحيوي وفق مشروع الأوراسية الجديدة. وفي الوقت نفسه هي مضطرة لتحمل أعباء ظهورها كقوة عظمى مناوئة للولايات المتحدة الأمريكية والغرب حتى تحافظ على وحدتها الداخلية ومكانتها كأحد الأطراف الفاعلة اقتصاديا وسياسيا.

6. الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة نستخلص بأن روسيا الاتحادية برئاسة فلاديمير بوتين عملت على توظيف قدراتها العسكرية والسياسية والثقافية من أجل تأمين مجالها الحيوي وتوسيع نفوذها ومصالحها الاستراتيجية. لذلك يندرج قرار الغزو الروسي لأوكرانيا ضمن خطوات تنفيذ مشروع بوتين الأوراسي من جهة، وبهدف دحض طموح التوسع الغربي في أوروبا الشرقية ومساعي حلف الناتو لاستدراج الدول السوفياتية السابقة للاحتماء تحت مظلته من جهة أخرى.

على هذا النحو نجح بوتين في إعادة قراءة المجال الحيوي الروسي انطلاقا من سعيه لجعل روسيا قوة جيوبوليتيكية، والذي ظهر جليا عقب ضمه لجزيرة القرم والاعتراف بجمهورية دونيتسك ولوغانسك تحت ذريعة حماية الأقليات الناطقة باللغة الروسية، ولكن الهدف أبعد من ذلك وينطوي على الأهمية الجيوسياسية لهذه المناطق سواء من خلال الوصول إلى المياه الدافئة عبر ميناء سيفاستوبول أو ببسط النفوذ على الجمهوريتين. وحتى وإن لم تنجح روسيا في استعادة أوكرانيا ضمن مدارها الأوراسي إلا أنها نجحت في إبعاد صواريخ الناتو عن شبه جزيرة القرم وربط الأخيرة بأراضي روسيا القارية وهذا في حد ذاته مكسب جيوسياسي مهم للقيادة الروسية.

وبإسقاط نظرية المجال الحيوي على سياسة روسيا الخارجية نجد بأن الرئيس بوتين قد طبق نظرية المجال الحيوي من خلال العمل بقوانين راتزل السبع المرتبطة بنمو الدولة، وذلك من خلال:

- تغيير التفكير من المنظور الأيديولوجي الاشتراكي إلى المنظور الحضاري الأوراسي بالتركيز على اللغة، والدين، والقومية، بما يسمح ببعث الحضارة الأوراسية لمواجهة الحضارة الليبرالية.
- عمل روسيا على دمج الوحدات الصغرى، وهو ما قامت به من خلال ضم جزيرة القرم، والاعتراف باستقلال المناطق الموالية لها على غرار أبخازيا، أوسيتيا الجنوبية، لوهانسك، ودونيتسك.
- فرض الرئيس بوتين سيطرته بعد الغزو الروسي لأوكرانيا على مختلف المعابر المائية في البحر الأسود تطبيقا لقانون ضم الأقاليم والسواحل الغنية بالموارد.

- توسع حلف الناتو على حدود روسيا دفع الأخيرة إلى الرد على ذلك بتوظيف القوة العسكرية لإعادة رسم المجال الحيوي الروسي وضم الأقاليم التي يمكن ضمها لضمان أمنها القومي.

7. قائمة المراجع:

1.6 المراجع العربية:

الباز، أحمد. (2022). تأثير الأزمة الأوكرانية على مستقبل السياسة الروسية في الشرق الأوسط. ترندز للبحوث والاستشارات.

بشارة، عزمي. (2022). روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو: تأملات في الاصرار العجيب على عدم تجنب المسار المؤدي إلى الحرب. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

الجنابي، سامي. (2019). إيران ونظرية المجال الحيوي. تم الاسترداد من

<https://bit.ly/3I0MWp8>

حليم فرانسيس، فيرونيكا. (2019)، جيوبوليتيك السياسة الخارجية الروسية "دراسة في أثر الجيوبوليتيك في علاقة روسيا بدول الجوار. تم الاسترداد من <https://bit.ly/3YYkIlB>

خشيب، جلال. (2018). الجيوبوليتيكا الروسية الحديثة والمعاصرة بين النظرية والتطبيق. مجلة رؤية تركية، 2 (7).

راقدي، عبد الله. (2017). الجيوبوليتيكا والعملة: في حديث عن حماية الجغرافيا. دفاتر السياسة والقانون (17).

السببيلي، محمد. (بلا تاريخ). الحرب الروسية الأوكرانية: مؤشرات الأداء العسكري الروسي والتكلفة السياسية. ترندز للبحوث والاستشارات. تم الاسترداد من <https://bit.ly/3K8MY0i>

شلال ظاهر، سعدون. (2004). التطبيق العنصري لنظرية المجال الحيوي: دراسة في الجغرافيا السياسية. مجلة البحوث الجغرافية (5).

صخري، محمد. (2019). النظرية الجيوبوليتيكية. تم الاسترداد من الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية : <https://bit.ly/2Zci3lr>

عبد الوهاب، شادي. خيارات كييف والغرب بعد ضم موسكو 4 أقاليم أوكرانية. تم الاسترداد من

<https://bit.ly/3YRBnr1>

عرفات، الشيماء. (2022)، البحر الأسود عودة الأهمية التاريخية. المرصد المصري.

عمرو، أحمد. (2014). الثورة الأوكرانية - التجربة والدلالات، مجلة البيان (322)،

<https://bit.ly/3xqgnMz>

القري، أحمد بن ضيف الله. (2022). أوكرانيا في الجيوبوليتيك الروسي. المعهد الدولي للدراسات الإيرانية. كوفمان، مايكل؛ و وآخرون. (2017). عبر من عمليات روسيا في شبه جزيرة القرم وشرق أوكرانيا. مؤسسة راند .

محمد علي، آمنة. (2017). أزمة القرم وتداعياتها على العلاقات الروسية - الأوكرانية. مجلة دراسات دولية (68).

مركز الجزيرة للدراسات. (2022). نهاية حقبة ما بعد الحرب الباردة: مغامرة روسيا في أوكرانيا تعيد تشكيل النظام العالمي برمته.

مركز الجزيرة للدراسات. (2023). حرب دون أفق: إخفاق روسي ودمار أوكراني.

وكالة الأناضول. تم الاسترداد من <https://bit.ly/3lIJ2d5>

2.6 المراجع الأجنبية:

Abrahamsson, C. (2013). On the genealogy of Lebensraum. *Geographica Helvetica* , 68.

Bassin, M. (2016). *Imperialism and the Nation State in Friedrich Ratzel's Political Geography*. Récupéré sur <https://bit.ly/2Pnk6GV>

k.Palat, M. (2018). *India and the World in the First Half of the Twentieth Century*. London: Taylor and Francise Group.

Olszafski, T. A. (N d). *Ukraine and Russia: Mutual Relations and the Conditions that Determine them*. Récupéré sur CES Studies: <https://bit.ly/3ScQBov>

Santayana, J. P. (2011). Why is Russia so Interested in Ukraine? . *iee.es Center*.

Shekhovtsov, A. (N d). *Aleksandar Dugin's Neo- Eurasianism and the Russian- Ukrainian War*. Récupéré sur <https://bit.ly/3I9DkIy>

Woehrel, S. (2005). *Ukraine's Orange Revolution and U.S. Policy*. CRS Report for Congress.